الموضوع : اللغة العربية والانتماء الحضاري .

إن الموضوع المختار لهذه المداخلة موضوع مركب ، وكلما تركب الشيء من أشياء تم تفاعلها ، وغالبا ما ينجم عن التفاعل جديد ، والجديد ينشأ عنه جديد.

نعم والمتأمل في هذا المركب يجده يتكون من أربع كلمات .

اللغة – العربية – الانتماء – الحضاري

إذن كيف تتصور معالجته ؟ أرى أنه يعالج على الشكل الآتي :

1– اللغة العربية .

2- الانتماء الحضاري .

3- مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة .

4- دور العقيدة في الحفاظ على الهوية اللغوية .

5- دور اللغة في بيان العقيدة وفهمها

6- نماذج عملية .

-1مفهوم اللغة العربية :

أ- تعريف اللغة .

اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [1] وأما تصريفها ومعرفة حروفها " فإنها فُعْلة من لغوت أي تكلمت ، وأصلها لُغْوة ككرة [2] واللغة هي الوسيلة الأوفر حظا في حصول التفاهم بين الناس عن طريق النطق بالألفاظ لأن عمدة " اللغة الألفاظ التي يتداولها القوم الذين اصطلحوا عليها بحيث لو حدثوا بغيرها لم يحصل بينهم تفاهم [1] ".

اللسان

وقد ذكرت كلمة أخرى في القرآن تعبيرا عن آلة النطق وهي : " اللسان " ، ذكرت امتنانا وتذكيرا بقيمتها في حياة الإنسان ، وقد عدت من أكبر النعم التي حضي بها الإنسان بل عدت من أعظم آيات التكريم في حقه قال تعالى : { **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان**

[1] الخصائص 33/1

[2] الخصائص 33/1

قومه ليبين لهم] [2] قال قتادة « أي بلغة قومه ما كانت » [3] . وقال سبحانه { ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين] [4] وقال سبحانه { ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين] [5] وقال سبحانه { فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا][7] وقد أقسم الله على المغيبات بذاته وشبه وجودها بنعمة النطق التي لا تنكر قال سبحانه { فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون] [6] .

فما العناية باللغة وأداتها – اللسان – لأعظم نعمة تجلت فيها عناية الخالق بهذا الإنسان الذي قال فيه تعالى { ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] [7] لأنها آلة التواصل، والتفاهم والتخاطب والتعارف .

وما يثر الانتباه أن آية الروم جعلت اختلاف الألسن بمنزلة آية خلق السماوات والأرض ، وبمنزلة اختلاف الألوان وجعلت كل ذلك آيات من آيات الله فلتقرأ الآية مرة أخرى بتدبر قال تعالى { ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات لعالمين] [8] إذن الأمر جدير بالعناية والتدبر والاعتبار وقد توسطت آية اختلاف الألسن آية خلق السموات والأرض وآية اختلاف الألوان على الرغم من كون السماوات والأرض أعظم الآيات كما قال تعالى{ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس] [9] .

د- العربية :

نسبة إلى العرب وذلك " لما يعزى إليها من الفصاحة والإعراب والبيان[10] " فالإعراب " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ... وهو مصدرأعربت عن الشيئ إذا أوضحت عنه وفلان

---

[1] التفسير اللغوي 34
[2] إبراهيم 4
[3] جامع البيان 181/13
[4] الروم
[5] البلد
[6] الذريات
[7] الإسراء
[8] الروم
[9] غافر 57
[10] الخصائص 36/1

معرب عما في نفسه مبين له وموضح عنه ..." [1] ومنه قوله تعالى { **الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان**] [2].

مفهوم اللغة العربية

إذن فالعربية قيد لكلمة اللغة وتمييز لها عن غيرها من اللغات .

واللغة العربية هي اللغة التي اختيرت لتكون وعاء آخر كلمات الله إلى أبناء آدم ، بعد أن نزلت كلمات الله في ما مضى بلغات أخرى .

وذلك سيرا على سنة الله المطردة في إرسال الرسل عليهم السلام بلسان أقوامهم قال تعالى { **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**] [3] .

وقد جاء التنصيص على عربية القرآن في غيرما آية قال تعالى { **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعلقون**] [4]

وقال { **وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا**] [5]

وقال سبحانه { **قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون**] [6] وقال سبحانه { **تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا**] [7] وقال سبحانه { إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون] [8] إلى آخره من الآيات التي نصت على العربية في القرآن .

وقد ردت شبهات المعادين لعربية القرآن في مثل قوله تعالى { **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان مبين**] [9] وقال سبحانه { ولو **جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**] [10] وقال سبحانه { **وكذلك أنزلناه**

---

[1] الخصائص 1/35- 36
[2] الرحمن 401
[3] إبراهيم 4
[4] يوسف 2
[5] طه 113
[6] الزمر 28
[7] فصلت 1- 2
[8] الزخرف 3
[9] النحل 103
[10] فصلت 44

حكما عربيا] [1] وقال سبحانه { وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها] [2] وقال سبحانه { ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين] [3]

وهكذا تتابعت هذه الآيات الكريمة في التنصيص على عربية القرآن ودفع كل شبهة عنه ويكفي أن يكون دليله من ذاته .

مفهوم الانتماء الحضاري

- معنى الانتماء

" الانتماء : الانتساب يقال : نميته إلى أبيه نميا ونميا وأنميته : عزوته ونسبته وانتمى هو إليه : انتسب ، وفلان ينمي إلى حسب وينتمي يرتفع إليه ... ويقال : انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب " [4] ونجد لهذا المعنى صدى في القرآن والسنة ولكن بلفظ آخر وهو " الادعاء أو الدعوة في باب : التبني وهو يؤدي نفس المعنى قال تعالى { وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين] [5] واللام في { لأبائهم] لام الانتساب وأصلها لام الاستحقاق يقال فلان لفلان أي : هو ابنه أي ينتسب له [6] .

والآية كما سبقت الإشارة واردة في حق التبني الذي أبطله الإسلام ، ورد كل واحد إلى أصله ونسبه إن علم حماية للأنساب والحقوق والأعراض فإن لم يعرف نسب أحد الناس فنسبه الإسلام ، وكفى به نسبا .

ومنه قوله ص: « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » [7] وفي رواية أخرى« لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر » [8] والتشديد الوارد في الحديثين إبطال لأمر الجاهلية إذ كان الناس « لا يستنكرون أن يتبنى الرجل ولد غيره ويصير الولد ينسب إلى الذي تبناه» [9] ، وقال بعض شراح الحديث إن " سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان وليس كذلك لأنه إنما خلقه من

---

[1] الرعد 38
[2] الشورى 5
[3] الأحقاف 11
[4] اللسان 342/15
[5] الأحزاب 4 – 5
[6] التحرير والتنوير 21 – 261
[7] البخاري بالفتح 54/12 – الفرائض باب 29
[8] نفسه 54/12 – الفرائض باب 29
[9] فتح الباري 56/12

غيره " [1] وهذا شأن كل انحراف في أي زمان ومكان عن شريعة العدلالإلـــه إذ تضطرب الأمور وتختلف الأصول وتتباين الأهواء .

- معنى الحضاري :

أصل الكلمة : الحضارة ، وحذفت التاء وجيء بالياء للنسب أو الانتساب لأن ياء النسب قيد وتحديد لجهة ماأو الوجهة .

والحضارة في مجملها : تعني السكن في الحواضر ج حضيرة وهي المدن قال ابن خلدون" فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما " [2] وقال مرة أخرى " إن البدو اصل للحضر ومتقدم عليه " [4] ، وقال أيضا " وأن الحضارة غاية للبداوة " [3] وذلك يمليه أصل كبير وهو " أن الاجتماع للإنسان ضروري " [4] لأنه مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع لتحقيق غريزة الاجتماع التي هي وجه ثان من وجهي طبيعته المزدوجة التي هي : غريزة الفردية .

وقد أعلن عن هذه الأصول في قوله تعالى { **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**] [5] فبتدبرنا المكين في هذه الآية تفصح لنا عن ثلاثة مبادئ كبرى هي جماع قيم حياة الإنسان الكبرى وهي :

1- مبدأ وحدة الإنسانية في أصلها .
2- مبدأ التعارف والتواصل وتبادل المنافع مع اختلاف الفروع .
3- مبدأ التقوى الذي هو روح المبدأين السابقين ولاكتمال الصورة وبيانها أكبر نقرأ قوله تعالى { **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**] [6] تدبر هذا التكامل الرائع بين الآيتين وتنوع أساليبهما وكيف أفصحتا عن جذور الإنسان المشتركة الدالة على الوحدة الضاربة في عمق التاريخ : عقيدة ونشأة وميلا وتناسلا ولغة وتكاثرا وانتشارا واجتماعا واقتراقا ويتصل أيضا هذا بقوله تعالى { **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني**

---

[1] فتح الباري 56/12
[2] المقدمة : 163 .
[3] المقدمة : 450 .
[4] المقدمة : 65 .
[5] الحجرات : 13
[6] النساء : 1

بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ] [1]

مفهوم اللغة العربية والانتماء الحضاري .

لعل الأمر اتضح ووضح من هذا التركيب الذي هو :

اللغة العربية والانتماء الحضاري أعني

علاقة اللغة العربية بالمنجزات الحضارية منذ نزول القرآن بها ، وعلاقة المنجزات الحضارية باللغة العربية إلى يومنا هذا وما يأتي بعدنا ، ودور كل واحد منهما في الآخر .

معنى الدور : الدور والدوران حركة جسم رحوية " أي كحركة الرحى " منتقل من وضع إلى وضع فينتهي إلى حيث ابتدأ ، ويحسب أن الكلمة وما تصرف منها مشتقات من اسم : الدار وقالوا ، دارت الرحى حول قطبها ومنه قوله تعالى { تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت] [2] وسمي الصنم دوارا ...لأنه يدور به زائره كالطواف وسميت الكعبة دوار أيضا وسمي ما يحيط بالقمر دارة ...ومعنى { تدور أعينهم] أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة " [3] .

بناء على هذا فإن دور اللغة العربية يدور مع أصول الحضارة التي كتبت باللغة العربية ، كما تدور أصول الحضارة باللغة العربية ، وجودا وعدما .

- ارتباط الحضارة بالدين .

معنى الدور الذي شرح سابقا يحتم علينا النظر في ارتباط الحضارة بالدين فأقول :

إن ارتباط الحضارة حضارة ما بالدين ارتباط وثيق إذا أخذ في مفهومها : إنها إنتاج الإنسان صاحب :

" الفكر والوجدان والإرادة " [4] وجعل خليفة في الأرض ومعمرها ومؤثرا فيها قال تعالى { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة] [5] وقال سبحانه { هو أنشأكم من الأرض

---

[1] البقرة 30- 32
[2] الأحزاب : 19
[3] التحرير والتنوير 297/21
[4] الدين والحضارة الإنسانية : 3
[5] البقرة : 29

واستعمركم فيها] [1] إذن فالإنسان خلق ودعى للحياة على الأرض ضيفا ليعمر الأرض ويصلحها وعليه فيمكن إجمال " حضارة الإنسان في المجالات الآتية :

1- الحضارة الأدبية المتمثلة في القوانين والمقاييس الأخلاقية ...
2- الحضارة المادية المتمثلة فيما يشاهد من عمارة الأرض ...
3- حضارة التكنلوجيا المتمثلة في التقدم الصناعي والعلمي ...

فهذه الجوانب الثلاثة " بحاجة ماسة إلى الدين لتصبح في خدمة الإنسان وتطور حياته العقلية والسلوكية من جانب والمادية من جانب آخر " [2]

والقول " **بحاجة ماسة إلى الدين** " يقصد به الدين الصحيح لتصحيح الأخطاء، وتصويب المنزلقات ، وكشف الزيوف والخرافات والأوهام والظنون كما قال تعالى { **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى]** [3] وكما قال أيضا { **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**] [4]

إذن فما من حضارة إلا وأثرالدين قائم يتوسطها والدليل على ذلك كثرة المعابد ، والأعياد ، والطقوس والقرابين المرهقة للناس وكثرة الممثلين لتلك المعتقدات وآثارهم على الناس ... لماذا ؟ لأن غريزة التدين فطرية في الإنسان إذن لا بد من أن يعتقد الناس معتقدا ما ، ولا بد أن يترك ذلك المعتقد بصماته وتوقيعاته على نشاط الإنسان بوجه من الوجوه .

فلتنظر إلى آثار حضارة القدامى وبقاياها بل حتى الحضارة المعاصرة التي ادعى كثير من روادها التخلص من الدين والتدين كل ما هنالك أنهم خرجوا من باب ودخلوا من باب آخر إلى عالم التدين ...

إذن فهل تخلى الإنسان عن مظاهر التدين ومعتقداته ؟ **لا. لا أبدا** ...، كيف يتخلى عن شيء هو جزء من فطرته وحاجاته النفسية هل تخلى يوما عن الطعام والنوم والبحث عن الرفيق والبحث عن الأمن ؟ **لا. لا إذن كذلك شأن التدين والمعتقد** .

---

[1] هود : 60
[2] الدين والحضارة الإنسانية : 3
[3] النجم : 23
[4] الشعراء : 69 – 74

بل الصراع القائم المحتدم يتوسطه معتقدات الناس و يدفعهم إلى المغالبة دفعا متوركين على شتى الوسائل على رأس ذلك : اللغة ، المال ، السياسة ، الطعن فيمعتقدات الآخر القوة العسكرية ، التدخل في مناهج التربية و التعليم ,محاصرة منابر الإعلام ... وإسكات الالسن الكاشفة للشر وأهله و العبث ورواده .

و يمكن لنا أن نختصر تعريف الحضارة بقولنا إنها :" ثمرة التفاعل بين الإنسان و الكون و الحياة "[1]، و لا ريب أن أدنى " مستويات هذا التفاعل يتمثل في الجهد الذي يبذله أهل بادية ما ، من أجل تحصين مجتمعهم السائب في قوالب من التخطيط العمراني وبديهي أن هذا الجهد لا بد أن يعتمد على استغلال العمر الذي نعبر عنه هاهنا بالحياة في تسخير مظاهرالمكونات المختلفة المحيطة بنا لسعادة الإنسان ورفاهيته " [2] .

إذن فلننظر إلى هذا الأمر الحضاري أو هذه الصورة الحضارية التي تعد نموذجا من خلال هذا النص القرآني المعبر باعتبار " النص نبعا لغويا – لا ينبض – يستقي من معينه الباحث الألفاظ مقترنة بمعانيها ومنجما يستخرج منه معادن اللغة ..." [3] قال الله تعالى { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ .....] [4]

فهذه صورة من صور الحضارة والعمران البشرى ونموذج من النماذج في مرحلة من المراحل ، فالحضارة إذن " ليست أكثر من ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان لاستغلال المكونات [5] التي من حوله في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني وبث أسباب الخير والسعادة فيه" [6] من مثل قوله تعلى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

---

[1] منهج الحضارة الإنسانية في القران : 19
[2] نفسه : 20
[3] صناعة الكلام : 28
[4] النحل : 80 – 83
[5] المكونات لا دخل له في إيجادها بل هو موجود
[6]

مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ] [1]

---

[1] منهج الحضارة الإنسانية في القرن 20

إذن فعناصر الحضارة أو أركانها الأساسية " إنما تتمثل في هذه الكليات الثلاث : الإنسان ، الحياة ، الكون ، وإنما مركز الثقل من القصد بالإنسان أو الكيان الإنساني في هذا في هذا المقام : عقله ،و تفكيره ، ووجدانه ..." [1]

وعند التأمل فيما نقدم يتضح " أن الإنسان أهم هذه العناصر الثلاثة ، وأخطرها على الإطلاق إذ هو العنصر الفعال والمؤثر .

أما العنصران الآخران وهما الكون والحياة فمنفعلان ومتأثران وهذا يعني أن الإنسان هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة الدنيا وذلك بما قد أوقي من نعمة الفكر والبصيرة .

أما كل ما عداه مما يراه من حوله فأسباب ميسرة نثرت له على قارعة الطريق ليراها فيهتدي إلى عظيم جدواها ويستخدمها في بلوغ أمانيه وغاياته " [2] .

من هنا يجب أن نستوعب وضع الإنسان ككائن عاقل مفكر مختار مكلف مخلوق للامتحان ، ووضع الكون كونه مخلوقا مسخرا للإنسان وجعل سيدا له بعد الله مما يحتم الاستماع والإنصات إلى هذا الصوت العالي الرفيع الذي يقول: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً] [3] ويقول { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] [4]و يقول:{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا] [5]

النحل : 3- 8
[1] منهج الحضارة : 20
[2] منهج الحضارة : 21
[3] لقمان : 19
[4] الملك : 15
[5] البقرة 28

ويقول: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] [1]

ولئن شئنا أن نتوسع في مدلول الحضارة والعمران وموادها الخام ذكرنا الكثير من نصوص القرآن ولكن نكتفي الآن بما يأتي :

قال تعالى { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا] [2] .

وقل { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ] [3]

هذه هي جوامع مقومات الحياة المادية التي يتعامل معها الإنسان ويثيرها ويعالجها ويحولها ويدخل عليها تعديلات حسب تطوره المعرفي واستغلال مواهبه وقدراته واكتساب تقنيات علمية تؤهله لذلك كما سجل الكتاب الخالد بعض النماذج من مثل قوله تعالى { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هم أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [4]

وقوله تعالى { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] [5] ومن مساوئ الحضارة المادية التي لا ترعى حق رب السموات والأرض ورب الإنسان ما يذكره القرآن في

---

[1] البقرة 20 – 21
[2] النبأ 9 – 16
[3] عبس : 17 – 32
[4] الروم : 9
[5] الحج : 40 – 44

مثل { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] [1] . وفي آية أخرى { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] [2]

والمقصود هو الدعوة إلى المقارنة والموازنة ليصفو الحق واللباب وإلى المحاكمة العقلية الواقعية والمقايسة للنظر فيما يتوافق فيه الماضي بالحاضر ليدرك الإنسان المعاصر مدى خطر ما ترتكبه البشرية من استغلال خيرات الأرض وقيم الحياة المادية فيما يجر التدمير وينشئ الفساد العريض بينما خالق الإنسان ومعطي النعم للأنام يقول { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] [3] لأن ما يجري ويستثمر من الفساد في الأرض يؤدي إلى نزول السنة المهلكة للأقوام الغابرة قال تعالى { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [4]

وفي هذا إعلان عن ناقوس الخطر لكل حضارة تتبنى الجانب المادي وحده ، وتعيش في انقطاع مع خالقها وبارئها كما قال تعالى { وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ] [5] وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه { وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] [6] .

3- مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة .

[1] العنكبوت : 28 – 29
[2] الأعراف : 81 – 83
[3] الأعراف : 55
[4] العنكبوت : 40
[5] إبراهيم : 45
[6] الصافات : 137 – 138

إن النص - خصوصا الأدبي – هو بناء لغوي قائم على قواعد اللغة ونظامها " مما يعطي للتحليل اللغوي أهميته في الكشف عن المعنى ، ويجعل اللغة قاسما مشتركا في التحليل بين جميع النصوص المكتوبة بتلك اللغة مع مراعاة خصوصية كل نص بحسب موضوعه ومستواه الخطابي "[1] والمتكلم به .

وإذ القرآن الكريم نص لغوي ، وهو كلام رباني فقد نزل بلغة الذين كانوا أول من خوطب به هم العرب الفصحاء قال تعالى { وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ] [2] وذلك جريا على سنة الله المطردة في إرسال الرسل عليهم السلام بلسان أقوامهم قال تعالى {وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] [3] ...إلخ... من **الآيات التي نصت على عربية القرآن .**

فإذن لما كان الأمر كذلك فإنه لا يمكن العدول عن هذه اللغة التي نزل بها القرآن إلى غيرها إذا أريد تفسير الكتاب الذي نزل بها لأن معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا منها . قال ابن فارس " إن العلم بلغة العرب واجب على كل مكلف متعلق من العلم بالقرآن والسنة و الفتيا بسبب لا غناء لأحد منهم عنه .

وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي ، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز وما في سنة رسول اله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا " [4] .

وقال الشاطبي " لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم فإن كان للعرب في لسانهم ، عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة ، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على مالا تعرفه ، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب " [5] .إذن يفهم من هذا " أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن ، لأن من أراد تفسيره ، وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها القرآن فإنه لا شك سيقع في الزلل بل سيحرف الكلم عن مواضعه " [6] .

ولذلك شدد العلماء النكير على من فسر القرآن وهو جاهل بلغة العرب فقد روى عن مجاهد – 104 هـ - وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما قوله " لا يحل لأحد يومن بالله

---

[1] التفسير اللغوي " المفهوم ...: 7
[2] الشعراء : 192 – 196
[3] إبراهيم : 4
[4] الصاجي في فقه اللغة : 50 نقلا عن التفسير اللغوي : 40 – 41 .
[5] المرفقات 82/2 التحرير 18/1
[6] التفسير اللغوي : 41

واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب " [1] . وروى عن مالك إمام دار الهجرة قوله " لا أوتى برجل يفسر كلام الله وهو غير عارف بلغة العرب إلا جعلته نكالا " [2] .

وروى عن شعبة بن الحجاج قوله " مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه مخلاة لا علف فيها . وقال حماد بن سلمة : من طلب الحديث ، ولم يتعلم النحو أو قال : العربية فهو كمثل الحمار تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير " [3] ، وقال ابن عطية " إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع " [4] ، قال صاحب الدلائل " فغالبا ما يأتي النقص على أهل التأويل والتفسير من جهة النقص في علم اللغة " [5] .

وقد عد الدارسون أن الزهد في دراسة النحو وإصغاره والتهاون فيه " أشبه ما يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه " [6] .

وهذا العلم بالضرورة يتصل بالوجه البلاغي المعجز الذي " هو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ، ومعان شريفة ، ورأيت له أثرا في الدين عظيما ، وفائدة جسيمة ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل " [7] .

فمن هذا وغيره ندرك " أهمية اللغة العربية وعظيم شأنها في علم التفسير " [8] ، إذن ينبني على هذا " أن اللغة العربية هي الأساس الأول لتفسير القرآن وعليها الاعتماد في بيان أحكامه الشرعية وتفسير غرائبه " [9] .

وعلى الرغم من مكانة اللغة العربية في فهم القرآن الكريم فإنه يجب الاحتياط حتى لا يحمل كلام الله مالا يحتمل وهذا ابن جني يحذر من ركوب بعض الاحتمالات الإعرابية قال : فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ، ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ملا غاية وراءه ، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه ... وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤتر إصلاحه " [10]

---

[1] البرهان 1 / 292
[2] البرهان 2 / 160
[3] الجامع لأحكام القرآن 24/1
[4] المحرر 14/1
[5] الدلائل : 7
[6] الدلائل : 28 ، إعجاز القرآن : 104 – 105 للرافعي
[7] الدلائل : 41
[8] أصول التفسير : 139
[9] مباحث في علم التفسير : 112
[10] الخصائص 283/1 ، الجامع 34/1 ، مقدمة في أصول التفسير 81 ، أصول التفسير : 148

يقول الإمام الشافعي رحمه الله " فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده و رسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، وما ازداد من العلم بالسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له ..." [1] .

ويعلل الإمام الشافعي رحمه الله ابتداء الكلام في هذا الموضوع وإيجابه بقوله " وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره : لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها ، **ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها "** [2] **.**

إذن هذا القرآن كما نعلم " نزل معجزا للعرب الذين نبغوا في اللغة وكانوا يقيمون لها أسواقا مثل المعارض التي نقيمها نحن لصناعتنا المتقدمة .

ولذلك شاء الحق سبحانه أن تأتي معجزة الرسول الخاتم من جنس ما نبغوا فيه ، فلو كانت المعجزة من جنس غيرما نبغوا فيه ولم يألفوه لقالوا : لو تعلمنا هذا الأمر لصنعنا ما يفوقه .

وجاءتهم معجزة القرآن من نفس الجنس الذي نبغوا فيه ، وباللغة العربية وبنفس المفردات المكونة من الحروف التي يكونون منها كلماتهم " [3] .

وبذلك صارت " عبقرية العربية وإعجاز القرآن صنوان لا يفترقان بعد نزول القرآن الكريم إذ حفظ هذا القرآن العربية في استمرارها وأصولها وبيانها ، والعربية بذلك وسيلة من وسائل فهم مراد الله تعالى من خلال القرآن الكريم " [4] .

أ - تأثير القرآن الكريم .

لقد أثر القرآن الكريم تأثيرا بليغا في كل جزئيات الحياة ، وأثار حركة فكرية جسيمة ، فتوجهت إليه الأنظار من كل حدب وصوب لأنه مزق حجب الماضي ، وحجب الحاضر وحجب المستقبل فجعل ذلك كله على مرآى ومسمع كل من سمع آياته تتلى وفهمها وهذا بعض ما سجله القرآن نفسه من الآثارعلى سامعيه:

---

[1] الرسالة : 48 – 49
[2] الرسالة : 50
[3] تفسر الشعراء 7630/12 - 7631
[4] سر العربية وبيانها : 9

1-**في باب التوحيد .**

قال تعالى { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَأُنزِلَ عليه الذكر من بيننا ؟] [1]

قال تعالى {وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون] [2]

1- في باب البعث

قال تعالى { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ] [3]

2- في صدق القرآن والرسول :

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إنه كان غفورا رحيما] [1]

3- في المغالبة :

قال تعالى: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون] [2]

وقال سبحانه { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ علم] [3]

وقال سبحانه { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ] [4]

4- في أثر الإيمان

قال تعالى {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق] [5] وقال تعالى: **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليه يخرون للأذقان**

---

[1] ص 5-7

[2]

[3] يس 77 – 78

سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .

5- في كثرة الأسئلة وتنوع أغراضها

قال تعالى { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ**] 6

وقال { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا**] [7]

وقال { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ**] [8]

وقال {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**] [9]

وقال { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة**] [10]

وقال {ويسألونك **عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**] [11]

وقال { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ**] [12]

وقال { **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى**] [13]

وقال {و **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**] [14]

وقال { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ] [15]

فذلك بعض ما سجله القرآن ووثقه من الآثار التي أثارها في عقول من سمعه ونطقت به ألسنتهم ولازالت هي المثارة أو بعضها .

والمقصود أن القرآن شغل بال البشرية ولازال يشغلها واعتقد أنه ليس هناك كتاب شغل بال الناس كما شغلهم القرآن ، وحرك كوامن نفوسهم إن حبا فيه أو كرها فيه يقول "

---

[1] الفرقان 4 – 6
[2]
[3] لقمان 6
[4] محمد 26
[5] الإسراء
[6] الكهف
[7] طه
[8] البقرة
[9] الإسراء
[10]
[11] البقرة
[12] البقرة
[13] البقرة
[14] البقرة
[15] النساء

غي مونو " وهو كاهن دومينيكي ولد سنة 1928 تحت عنوان : الإسلام وما ليس هو ((على كل حال إن الإسلام ديانة قبل أي شيء آخر وهي من أكبر الديانات التي طبعت تاريخ الإنسانية ، وستحكم المشهد الديني العام في مطلع الألفية الثالثة للميلاد على الرغم من الانقسامات الداخلية التي تعصف بها وعلى الرغم من ظهور الطوائف والحركات الدينية الجديدة لقد أفرزت الديانة الإسلامية حضارة مدهشة)) [1] ويقول أيضا ((عندما نقرأ في صحيفة ما توافه لا تستطيع أفضل الدوريات التخلص منها مثل : " الإسلام متخلف " أو " الإسلام يتحرك فالمقصود ليس الديانة القرآنية ولا حضارة ابن رشد ، وتيمورلنك ، وإنما المقصود هو مجموعة الشعوب ذات الأغلبية الإسلامية)) [2] .

ويقول أيضا ((منذ سنوات عدة كتب أحد كبار المتخصصين في الشؤون الإسلامية ما يأتي : **الإسلام هو القرآن** ، كم هو صحيح هذا العنوان **! فالقرآن يطبع الديانة الإسلامية كلها ويبسط هيمنته على معظم الحضارة الإسلامية ، وهو يمارس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تأثيرا كبيرا على حياة المسلم وليس هناك في الإسلام ملا يرتبط بطريقة ما بإحدى آيات القرآن))...** [3] .

ويقول تيريز آن دروار تحت عنوان : **إله المسيحيين وإله المسلمين هل هما فعلا إله واحد** ؟ ((فالقرآن تحفة اللغة العربية ...)) [4]

ويقول محمد عبد الله دراز :((لما سبقت كلمته أن يصون **علينا نفائس العلوم** التي أودعها هذا الكتاب الكريم قضت حكمته أن يختار لها صوانا يحببها إلى الناس بعذوبته ، ويغريهم عليها بطلاوته ، ويكون بمنزله الحداء يستحث النفوس على السير إليها ويهون عليها وعثاء السفر في طلب كمالها .

لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل ، ومن أجل ذلك **سيبقى صوت القرآن أبدا في أفواه الناس وآذانهم مادامت فيه حاسة**

---

[1] مواقف : 44
[2] مواقف : 45
[3] مواقف : 51
[4] مواقف : 60

تتذوق وحاسة تسمع ، وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سره ، وينفذون بها إلى بعيد غوره { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [1] .

هل عرفت أن نظم القرآن الكريم يجمع إلى الجمال عزة وغرابة ؟ وهل عرفت أن هذا الجمال كان قوة إلهية حفظ بها القرآن من الفقد والضياع ؟ قال تعالى { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } [2 3] .

جـ - أثر القرآن في اللغة العربية .

نعم كما أثر القرآن في سامعيه وأثار مشاعرهم وغير من تفكيرهم أثر أيضا في اللغة العربية وكأنما أنشئت من جديد أو جدد لها شبابها قال مصطفى صادق الرافعي : ((فقد وضح لك أنه لولا القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطباع ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة ... وذلك معنى من أبين معاني الإعجاز إذ لا تجده اتفق في لغة من لغات الأرض غير العربية ، وهو لم يتفق لها إلا بالقرآن ... وإنما شباب هذه الحياة اللغوية أن تكون اللغة لينة شديدة كما يكون الإنسان بقوة الخلق والخُلق ...

وهذا وجه لو لم يقمها عليه القرآن كما استقامت أبدا ...ولا تلاقى فيه آخرها بأولها ...ويبقى وجه آخر من تأثير القرآن في اللغة وهو : إقامة أدائها على الوجه الذي نطقوا به وتيسير ذلك لأهلها في كل عصر ، وإن ضعفت الأصول واضطربت الفروع بحيث لولا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطق العرب بألسنتها وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها ، وهذا أمر يكون في ذهابه ذهاب البيان العربي جملته أو عامته لأن مبناه على أجراس الحروف واتساقها ، ومداره على الوجه الذي تؤدي به الألفاظ ...

فإن القرآن تنزل من العرب منزلة الفطرة اللغوية التي يسهم فيها كل عربي بمقدار ما تهيأ له من أسبابها الطبيعية .

تلك سياسة هذا القرآن : جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريف التاريخ رأى ألسنتهم تقود أرواحهم فقادم من ألسنتهم [4] .

---

[1] الحجر : 9
[2] فصلت : 41
[3] الشبه العظيم : 97 – 98 ، علم اللغة العربية في الآيات المعجزات : 20
[4] الإعجاز : 80 – 83 بتصرف ، الخصائص 77/1

ولشرف القرآن واللغة التي نزل بها يكره ((أن يتعود الرجل النطق بغير العربية فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغة من أعظم شعائر الأمم بها يتميزون ...)) [1] وخصوصا أن اللسان الذي ((اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى اله عليه وسلم ولهذا نقول : ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجميته))[2] ولكن اعتياد

((الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله أو لأهل الدار ... فلا ريب أن هذا مكروه فانه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه كما تقدم ....))[3] .

والتساهل في أجر اللغة العربية واعتياد الخطاب بالأعجمية يصير العربية مهجورة عند كثير من الناس وذلك هو المكروه وقد يدخل في الحرمة إذا تعمد ذلك لإهانة اللغة العربية ولاستخفاف به ((إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة و كلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب)) [4] وفوق هذا أن ((اعتياد اللغة

يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ....وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ثم منها ما هو واجب على الأعيان ، وما هو واجب على الكفاية ... روي أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي اله عنهما ((**أما بعد : فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي**)) وروي عنه أيضا **((تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم)) وهذا الذي أمر به عمر رضي اله عنه من : فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه لأن الدين فيه أقوال وأفعال ، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو فقه أعماله**)) [5] ***<u>دور العقيدة في الحفاظ على الهوية اللغوية</u>***

[1] الاقتضاء : 463/1
[2] الاقتضاء 465/1
[3] الاقتضاء : 469/1
[4] الاقتضاء : 470/1
[5] الاقتضاء : 471/1

ما العقيدة ؟

العقيدة : من العقد وهو الربط و الشد بقوة و منه الإحكام ، و الإبرام ، و التماسك ،و الإثبات و التوثق وهو نقيض الحل 1 ...

و في **الاصطلاح العام** هو الإيمان الجازم ، و الحكم القاطع ، الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد ، وهذا معنى العقيدة في الاصطلاح العام بصرف النظر عن نوع الاعتقاد حق أو باطل ،و سمي عقيدة لان الإنسان يعقد عليه قلبه .

العقيدة في الإسلام:

أما العقيدة في الإسلام فهي الإيمان بالله، و ما يجب له في ألوهيته وربوبيته و أسمائه و صفاته.

و الإيمان بملائكته و كتبه و رسله و اليوم الأخر و القدر خيره و شره " 2 و يدل على هذا قوله تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ...] 3

و العقيدة بهذا المفهوم لها أسماء أخرى مثل:

1- التوحيد:

لكونه يدور على توحيد الله سبحانه و تعالى في وحدانيته و أسمائه و صفاته، و التوحيد بهذا هو اشرف مباحث علم العقيدة وهو غايتها فسمي به هذا العلم ...تغليبا "4 و سميت أيضا :

2- أصول الدين :

و الأصول هي أركان الإيمان و عناصره و المسائل القطعية كما دلت عليها الآية السابقة .1

و العقيدة بهذا المفهوم تعني أصول " الدين الحنيف و الدين القيم دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فهي موجودة وجود الله ثم وجود هذا الإنسان كما تبث بالدليل القطعي وهو القران الكريم الذي هو أوثق مصدر للتاريخ " [2] وهذا الكون و ما فيه .

---

[1] اللسان 3/296-300 ، المعجم الوسيط 2/644-645

[2] بحوث في عقيدة أهل السنة و الجماعة .

[3] سورة البقرة آية 176 .

[4] بحوث في العقيدة 12

قال تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] [3] وقال تعالى { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] [4] وقال تعالى { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [5] وقال تعالى { حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ] [6] و قال سبحانه:{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [7]

تلك هي عقيدة الإيمان ، و تلك هي أصول الدين و عناصره ، و تلك هي بعض أدلتها و ءاياتها.

ومن الأمر العجيب المدهش اللافت للنظر أن الله سمى تلك المظاهر الكونية بالآيات.

<u>و ما معنى الآيات؟</u> كلمة آية لها معان متعددة ***منها*** :

1- الشيء العجيب الذي يلفت الأنظار و يبهر العقول كما تقول : هذا آية في الجمال ، أو في الشجاعة أوفي الذكاء أي وصل فيه إلى حد يدعو إلى التعجب و الانبهار .

2- ومنها الآيات الكونية حينما تتأمل في كون الله من حولك تجد آيات تدل على : إبداع الخالق سبحانه ، و عجيب صنعه و تجد تناسقا ، و وانسجاما بين هذه الآيات الكونية يقول تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] [8]

---

[1] بحوث في العقيدة 13
[2] بحوث في العقيدة 23 .
[3] ا سورة لروم الآية 30
[4] سورة الحديد الآية 2
[5] سورة البقرة الآية 162-163
[6] سورة الجاثية : الآية 1-5
[7] سورة النور الآية 1
[8] سورة فصلت آية 37

وقال : { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ] [1]

وقال { **ومن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**] [2]

وقال : { **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**] [3]

وهذه الأيات الكونية ثابتة دائمة لا تتبدل كما قال : { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا] [4]

3- ومن معاني الآيات : المعجزة ، وهي الأمر العجيب الخارق للعادة ، و تأتي المعجزة على أيدي الأنبياء لتكون : حجه لهم ، و دليلا على صدق ما جاءوا به من عند الله ، و نلاحظ في هذا النوع من الآيات أنه : يتبدل ، و يتغير من نبي لأخر ، لأن المعجزة لا يكون لها أثرها إلا إذا كان في شيء نبغ فيه القوم لأن هذا هو مجال الإعجاز فلو اتيناهم بمعجزة في مجال لا علم لهم به لقالوا : لو أن لنا علما بهذا لأتينا بمثله لذلك تأتي المعجزة فيما نبغوا فيه ، و علموه جيدا حتى اشتهروا به فلما نبغ قوم موسى عليه السلام في السحر كانت معجزته من نوع السحر الذي يتحدى سحرهم فلما جاء عيسى عليه السلام و نبغ قومه في الطب و الحكمة كانت معجزته من نفس النوع فكان عليه السلام : يبرئ الأكمه و الأبرص ، و يحي الموتى بإذن الله .

فلما بعث محمد صلى الله عليه و سلم و نبغ قومه في البلاغة و الفصاحة والبيان ، وكانوا يقيمون لها الأسواق ، و يعلقون قصائدهم على استار الكعبة اعتزازا بها ، فكان لابد أن يتحداهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه وهي : **القران الكريم** وهكذا تتبدل المعجزات لتناسب كل منها حال القوم و تتحداهم بما اشتهروا به لتكون أدعى للتصديق و أثبت للحجة .

4- ومن معاني كلمة آية **: آيات القران الكريم** التي نسميها حاملة للأحكام ، فإذا كانت الآية هي الأمر العجيب فما وجه العجب في آيات القران ؟

---

[1] سورة الروم
[2] سورة الروم
[3] سورة الرعد
[4] سورة فاطر

وجه العجب في آيات القران أن تجد هذه الآيات في أمة أمية ، و أنزلت على نبي أمي في قوم من البدو و الرحل ، الذين لا يجيدون شيئا غير صناعة القول و الكلام الفصيح ثم تجد هذه الآيات تحمل من القوانين و الأحكام و الآداب.

ما يرهب أقوى حضارتين معاصرتين هما حضارة فارس في الشرق و حضارة الرومان في الغرب فنرالهم يتطلعون للإسلام و يبتغون في أحكامه ما ينقذهم أليس هذا عجيبا ؟

وهذا النوع الأخير من الآيات التي هي آيات الكتاب الكريم [1] و التي نسميها حاملة الأحكام هل تتبدل هي الأخرى كسابقتها ؟" ***الجواب لا***

هناك مفارقة

وهي أن " القران الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو معجزته الخالدة في الوقت نفسه ، فهو منهج و معجزة .

و قد جاء الرسل السابقون بمعجزات لحالها و كتب لحالها فالكتاب منفصل عن المعجزة .

فموسى كتابه التوراة، و معجزته العصا و اليد. و عيسى كتابه و منهجه الإنجيل و معجزته إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى بإذن الله .

أما محمد صلى الله عليه و سلم فمعجزته هي : نفس الكتاب منهجه لا ينفصل أحد هما عن الأخر لتظل المعجزة مساندة للمنهج إلى قيام الساعة ، و هذا هو السر في أن الحق تبارك و تعالى تكفل بحفظ القران و حمايته فقال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] [2]

أما الكتب السابقة فقد عهد إلى التابعين لكل رسول بحفظ كتابه قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ] [3] .

الخلاصة

[1] تفسير الشعراوي 8209/13 -8211

[2] سورة الحجر 9

[3] سورة المائدة الآية 44

و خلاصة القول أن الآيات تطلق أربع اطلاقات

1- فهي تطلق على الآيات القرآنية – الحاملة للعقيد و الأحكام و الأخلاق – لأنها عجيبة اسلوبيا معبرة عن كل كمال يوجد في الوجود إلى أن تقوم الساعة و كل قارئ لها يأخذ منها على قدر ذهنه ، و قدر فهمه .

2- ولاية الكونية موجودة في خلق الأرض و السماء ، و غير ذلك .

3- و كذلك تطلق الآيات على المعجزات الدالة على صداق الأنبياء "1 .

4- و كذلك تطلق على تجربة نوع الإنسان في الأرض منذ أن خلقها الله و سميت بالأيام كما سميت بالأنباء قال تعالى : { وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ]

2

وقال : { تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ] [3]

وقال سبحانه : { ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ]4 وقال سبحانه { ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ]5

و خلاصة الخلاصة فالقران " هو هداية البشر إلى منهج الله و الله سبحانه و تعالى وضع في القران الكريم دستورا سماويا لكل رسالات الله للبشر .

فبنزول القران الكريم اكتملت الرسالات الربانية و جاء القران الخاتم الذي يظل دستورا للدينا حتى يوم القيامة فجاء القران:

بقصة خلق السموات و الأرض و قصة خلق الإنسان وجاء بقصص الرسل و الأنبياء الذين سبقوا نزول القران الكريم، و صحح ما زيف منها ، و عدل ما حرف منها لتأتي صادقة فيما أبلغ به الرسل عن الله ، و تأتي ناسخة لكل ما عبثت به أيدي البشر في الرسالات السابقة على نزول القران و تاتي مصححة لكل كلام بشري أضيف إلى منهج الله و نسب إليه زورا و بهتانا تأتي بما كتمه أهل الديانات القديمة و أحبار اليهود ورهبان النصارى عن الناس .

انه يفضح كل تحريف أو كتم أو إخفاء أو تزييف أو إضافة بشرية لدين الله في الرسالات السابقة و يزيد عليها من منهج الله ليصبح.

القران الكريم المنهج الكامل المتكامل لعبادة الله في الأرض و يتضمن منهج الله منذ عهد آدم إلى قيام الساعة " [2].

و بذلك تكون عقيدة الإيمان قامت بدور فعال في الحفاظ على هوية اللغة العربية ، لأن القران بلغة عربية فهو كتاب عقيدة تسري في جميع آياته بل كلماته و حروفه كما تسري الروح في الجسد و الماء في العود .

وهو كتاب عبادة ، و أخلاق و جميع النظم ، و العبادة فيه تؤدى باللغة العربية و تلاوته و قراءته عبادة وهو باللغة العربية .

إذن فدور العقيدة في حماية شخصية اللغة العربية لازمة ثابتة تدور معها وجودا و عدما فحيثما كان المسلم وهو مسلم حقا فثم اللغة العربية حاضرة مصونة محفوظة لقوله تعالى : { **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** } [3] فما دام أن الله حفظ القران فقد حفظ العقيدة و مادام حفظ العقيدة فقد حفظ اللغة العربية لأن اللغة وعاء العقيدة فبينهما تلازم أبدي لا يفترقان حتى تقوم الساعة ومن عجيب أمر هذه العقيدة أول ما يجب أن يفعله الإنسان أن ينطق بكلمة الشهادة باللغة العربية وثاني ركن في الصلاة قراءة الفاتحة باللغة العربية وقد اشتملت على أعظم أسماء من أسماء الله وهي لب العقيدة .

---

[1] تفسير الشعراوي 4270/7
[2] تفسير الشعراوي 98/1

دور اللغة في بيان العقيدة وفهمها .

معنى دور اللغة في بيان ...

معنى الدور : فعله " دار يدور دورا ودورانا : طاف حول الشيء ، ويقال دار حوله ، وبه ، وعليه ...ودار : عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه ، ودار الفلك في مداره : تواترت حركاته بعضها في إثر بعض ... أدار الشيء : جعله يدور ، وجعله : مدورا ... وأدار التجارة : تداولها وتعاطاها "[1] .

" المداورة : المعالجة .. " [2] ولهذه المادة وجود في القرآن الكريم قال تعالى{ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ] [3] وقال تعالى { فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ] [4] إذن المادة تدور حول الحركة ، والإدارة والتقلب والتدبير والطواف .

يفهم من هذا أن للغة العربية علاقة وطيدة لازمة وهي : حركتها حول العقيدة ، والطواف بها ، وتدبير شؤونها وبيان ما يتعلق بها ، والإفصاح عنها ، والدوران حولها أي في فلكها وتحملها وتعرب عنه

ا بأساليبها الخاصة التي قدت على مقاسها .

وإذا نظرنا إلى اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم بناء على فهمنا لمعنى الدور والدوران وجدناها تدور وتدير الوجود كله ، إذ حملته في أسمائها وأفعالها باعتبار أن اللغة اسم وفعل وحرف ، فنرى أنها تدور وتدير أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وتنوع في عرضها ، وتدير وتدور حول كثير من أسماء الأنبياء والرسل والصالحين وأسماء الملائكة ووظائفهم ، وأسماء كتب الله التي أنزلت سابقة للقرآن ، والمعجزات التي صاحبتهم .

وكذلك تدور حول كثير من أسماء العبادات الكبرى والإيمان وقضاياه ، وتدير أسماء الكون من سماء وأرض وعالم الجن والأحياء ..

وأدارت أيضا كثيرا من الأحداث التاريخية ووقائعه وتجارب الإنسان الحضارية وذكرت أسماء أصحابها ووثقت كثيرا توثيقا محكما بالإيجاز مرة والإطناب أخرى وهي أشبه ما تكون بتلك الأقراص المضغوطة ، وسجلت كذلك كثيرا من أسرار الكون كالتسبيح لله والسجود له ، ومشاركة بعض المسبحين كما وثقت أقوال بعض الكائنات الحية .

---

[1] المعجم الوسيط : 325/1 ، اللسان 295/4 - 296

[2] السان 297/4

[3] البقرة 281

[4] الأحزاب 19

نعم وقد أدارت اللغة العربية ودارت وقامت بما لم تقم به أي لغة أخرى وذلك بأسلوب سهل ممتنع قال تعالى { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ] [1] وقال سبحانه { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] [2] وقال {فإنما يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا] [3] .

فما اللغة إذن ؟ وما اللسان ؟ وما أنظمتها ؟

اللغة أصوات أولا يتداولها أعضاء الجهاز التنفسي ابتداء من الرئة إلى آخر الشفتين وإن كان سيد هذه الأعضاء السان الذي ذكره الله في القرآن أكثر من عشرين مرة ، لأنه أداة الكلام الدالة على المعجزة ، هو أداة واحدة ولكن انظر ما ينشأ عنه من أصوات مختلفة متباينة مع وجود الأصل الواحد صدق الله العظيم القائل { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ] [4] و القائل { وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [5] .

فما اللسان إذن ؟

فما اللسان إلا عضو متحرك " وموضح ، ومفسر لما عساه أن ينبهم على السامع من مجمل سر المتكلم ، ومما قد تحتويه أفكاره ، ولا يمكن أن تعبر عنه تمام التعبير وجداناته ..." [6] .

وعند التأمل في اللغة واللسان والعلاقة بينهما وما نشأ عن تلازمهما نجد هناك مكونات متولدة من هذا التلازم على رأسها ما يسمى : الصوت اللغوي الذي هو " أحد أنظمة خمسة تكون في مجموعها اللغة و هذه الأنظمة أو المكونات هي:

1- النظام الصوتي 2- النظام الصرفي

3- النظام النحوي 4- النظام الدلالي

5 - النظام الأسلوبي

---

[1] القمر : 17 , 22 , 32 , 40

[2] الدخان : 55

[3] مريم : 19

[4] الروم 22

[5] الرعد

[6] سر العربية : 137

والنظام الصوتي : هو الوسيلة التي تنقل لنا أفكار المتكلمين وأحاسيسهم ، وشعورهم وإن شئت قلت : هو الجانب العملي للغة فبواسطته يتصل الإنسان ويتفاهم معه [1].

وعندما كان هذا هو الجانب العملي لغة فقد اعتمده القرآن أيما اعتماد فجعل التلفظ بكلماته وتلاوتها في الدرجة الأولى قال تعالى { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [2] .

بل أوجب تلاوته وترتيله في بداية نزوله قال الله تعالى { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا] [3] وقال سبحانه { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ] [4] وقد حدد آداب التلاوة والاستماع إليه في قوله: _وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] [5]

ولذلك نشأ عن هذه الآداب العالية علم مستقل برأسه وهو علم القراءات الذي " تناقله المومنون في بداية الأمر بالرواية الصحيحة ليصبح فيما بعد علما له أصوله وقواعده ، فما ذلك إلا لأن هذا العلم أتى توقيفا من الله تعالى ، فاستنبط منه العرب أصول اللغة جميعا " [6] .

ومن المعروف أن تلاوة القرآن عبادة كانت أثناء العبادة المحددة وقتا وصورة أم كانت مجرد تلاوة القرآن الكريم لما في ذلك من الوقوف على ما عرض في القرآن " من أسماء الأنبياء وأسماء الأجناس ، وكأسماء الأعلام ، وكأسمائه سبحانه التي أطلقها على نفسه ... وكأسماء يوم القيامة ، والجنة والنار ، والسماء ، والأعداد وذكر الثقلين ، وخطابهم ، وعامة ألفاظ القرآن " [7] .

نعم ومداومة تلاوة القرآن الكريم يورث معرفة عادات القرآن الكريم وجلال المتكلم به والنازل عليه لأن كلما " كان السامع أعرف بالمتكلم وصفاته وقصده وبيانه وعادته كان استفادته للعلم بمراده أكمل وأتم ...إن معرفة مراد المتكلم تعرف بالطراد استعماله ذلك اللفظ في ذلك المعنى في مجاري كلامه ومخاطباته ، فإذا ألف منه إطلاق ذلك اللفظ ...

---

[1] سر العربية : 138 ، الصواعق المرسل 738/2 ، النبأ العظيم : 99 ، فقه اللغة : 164 -165
[2] الجمعة : 2-3
[3] المزمل : 3
[4] البقرة: 120
[5] الأعراف 204
[6] علوم اللغة : 15
[7] الصواعق : 445/2

ألف منه أنه متى أطلقه أراد ذلك المعنى ... وأن من تأمل عامة ألفاظ القرآن وجدها صريحة دالة على معناها دلالة لا تحتمل غيرها بوجه من الوجوه " [1] .

وإذ اللغة أسماء وأفعال وحروف فلم ذكر الله الأسماء دونها في قوله

{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] [2] قال ابن جني " اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القبل الثلاثة ، ولا بد لكل كلام مفيد\ من الاسم ، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل ، فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة على مالا خفاء به جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها ومحمول في الحاجة إليه عليها "[3] .صحيح أن للأسماء الصدارة في كل كلام كانت مظهرة أو مضمرة ثم أن الكلام يتكلمه متكلم والكلام حامل لمعاني يقصد بها أمر ما فهناك إذن متكلم ومخاطب وغرض أو مضمون فلو أخذنا آية واحدة من مقدمة سورة الفرقان وهي قوله تعالى { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] [4] فهذا نص لغوي موجز ولكن يحمل من الأسماء ما يحمل فكل اسم يدل على معان بليغة وهي المقصودة بالذات .

هذا ولو طبقنا هذا المبدأ على أم القرآن مثلا وهي ذات السبع الآيات فماذا نجد ؟ نجدها كلها أسماء من البسملة إلى الضالين غير أربعة أفعال مما يدل على أن للأسماء الصدارة في كل كلام ، كانت الأ سماء للأعيان أو لصفات أو أفعال ...

وخلاصة القول : أن اللغة العربية هي الأداة الأولى والأساسية في بيان عقيدة التوحيد و إيضاحها لأنها بنيت بناء خاصا ، وأعيدت صناعتها وصياغتها لتناسب كمال هذه العقيدة العظيمة فصارتا متلازمتين لا تنفكان أبدا إذ التقت الفطرة اللغوية بالفطرة الدينية لقوله تعالى { صبغة اللغة ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون] [5] ولقوله تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [6]]

وما حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل المومنين الذين جاءوا بعده إلى يومنا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلا ما لخص في قوله تعالى { رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا

---

[1] الصواعق : 445/2
[2] البقرة 31
[3] الخصائص 41/1-42
[4] الفرقان : 1
[5] البقرة
[6] الروم

مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ] [1] وفي قوله { هوالَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [2] لتحقيق مضمون قوله تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] [3]

نماذج عملية :

للقرآن الكريم كتاب اللسان العربي الخالد منهاج خاص في بيان العقيدة وأداء رائع في الإعراب عنها فمثلا يقول تعالى : { الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ]ٍ[4]وقال : { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً] [5] و قال : حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] [6] و قال : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] [7]

.....إلخ ...فينبغي التنبه لبعض الكلمات ذات الدلالة العميقة في الآيات مثل : "احكمت ءاياته ثم فصلت " خبير حكيم " صرفنا للناس " ... إلخ ... و ما يهمنا في مثل هذه الآيات المعبرة آية أخرى من سورة الإسراء وهي { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا] [8]

واللافت للنظر فيها هو " صرفنا " فما معنى التصريف ؟ التصريف هو: التحويل و التنويع " بأساليب مختلفة لزيادة البيان ، و المراد أن القران الكريم لا يعالج القضايا بأسلوب رتيب جامد بل يحول الكلام بين أساليب متعددة لأنه يخاطب طباعا متعددة و يتعرض لموضوعات متعددة ، و معاني مختلفة ، فلا بد أن يصرف الأسلوب و يقلبه على أكثر من وجه فالذي لا يفهم هذه يفهم هذه فيعرض المعنى الواحد بأساليب متعددة و

---

[1] البينة : 2-3
[2] الجمعة : 2-3
[3] الذريات 56-58
[4] سورة هود الآية 1
[5] سورة الأعراف الآية 51
[6] سورة فصلت الآية 1-3
[7] سورة الزمر 26 الآية -27
[8] الإسراء الآية 89

أمثلة مختلفة[1] " و لنأ خذ ما نحن بصدده وهو : العقيدة التي تعد : قمة القضايا وهي المتعلقة بالوهية الله ووحدانيته فترى القران يعرضها في معارض مختلفة لا نظير لها من جميع النواحي لذا يحسن بنا أن ننظر إلى عرضها من خلال مسلكين :

المسلك الأول : موضعي .

المسلك الثاني موضوعي .

المسلك الموضعي سأكتفي فيه بذكر ثلاثة نصوص وهي :

أولا قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] [2]

ثانيا : قال الله تعالى عارضا اصولها و فروعها : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ] [3]

و الله لست أدري ماذا أقول أمام هذا البيان الرائع الأخاذ من أين أتى جماله و بناؤه المرصوص أ من ألفاظه الرائعة المنتقاة؟ أم من معانيه الخالدة ؟على أي فكلاهما تعاونا لنظم و رصف المبنى و المعنى للإعراب عن بنائين:

أولهما : البناء المعنوي للشخصية الإنسانية .

ثانيهما : البناء المادي وأطواره لذات الشخصية .

---

[1] تفسير الشعراوي 8733/14

[2] سورة إبراهيم الآية 26-28

[3] سورة المؤمنون الآية 1-17

ثالثا قال الله تعالى محاورا في شأن هذه القمة: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] [1] أي تصريف هذا ؟ و أي أسلوب هذا ؟ و أي لغة هذا ؟ و أي بيان هذا ؟ و أي آيات هذه ؟ هل تركت كلمات هذه الآيات شيئا رغم وجازتها ؟ إنه الإيجاز الدال على تمام الإعجاز.إنه: { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] [2] نعم { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] [3] .

المسلك الثاني: الموضوعي :

أما هذا المسلك فأقصد به تناول موضوع العقيدة في مواقع مختلفة من القران من مثل قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا] [4] ثم يعرضها بأسلوب آخر فيقول تعالى: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] [5] .

فالحق تبارك و تعالى منزه عن الولد و الشريك إذلوكان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق... ثم يعرض نفس القضية بأسلوب آخر فيقول:{ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا] [6] أي إن كان مع الله آلهة كما

---

[1] سورة النمل الآية 61-67
[2] سورة الزمر الآية 27
[3] سورة الإسراء الآية 89
[4] سورة الأنبياء الآية 22
[5] سورة المؤمنون الآية 91
[6] سورة الإسراء الآية 42-43

يدعي المشركون لذهب هؤلاء الآلهة إلى ذي العرش يعاتبونه أو يؤدبونه أو يعاقبونه لأنه انفرد بالملك من دونهم.

و بأسلوب آخر يقول تعالى: { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] [1]و بأسلوب آخر يقول تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] [2] ولم يأت من ينازعه هذه المكانة أو يدعيها لنفسه إذا فقد ثبتت له هذه القضية إلى أن يوجد معارض ...ولا معارض.

نرى من هذا التصريف أيضا في أسلوب القران في مسألة ادعاء أن لله تعالى ولدا – وهذا له صلة بالموضوع ذاته – تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا ، فيعرضها القران هكذا { **و قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يضاهون قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ]** [3]

فيرد القران هذا الزعم بقوله تعالى{ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**] [4] و في موضع آخر يعرض المسألة هكذا { **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ]** [5] أي فإن كنتم تريدون مقاسمة الخلق سبحانه فهل يليق أن تأخذوا انتم البنين لأنهم المفضلون حسب زعمكم و تتركون له تعالى البنات { **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى]** [6] أي قسمة جائرة .

و هكذا يصرف القران أسلوبه و يحوله ليقنع به جميع العقول ليناسب كل الطباع و تمتاز لغة العرب بالمثل و الحكمة لذلك كان من التصريف في أسلوب القران استخدام المثل، وهو تعبير موجز يحمل المعاني الكثيرة ، و تتعشق لفظه...

---

[1] سورة الأنعام الآية 96-99
[2] سورة آل عمران الآية 18
[3] سورة التوبة الآية 30
[4] سورة الأنعام الآية 101
[5] سورة النحل الآية 57
[6] سورة النجم الآية 22

إذن لأهمية المثل في لغة العرب جعله القران لونا أسلوبيا، و أداة للإقناع كما في قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا] [1] لأن الله تعالى يخاطب عقولا مختلفة و طبائع متعددة ... إذن يصرف الله الأمثال، و يحولها ليأخذ كل طبع ما يناسبه، و ما يقتنع به، و لذلك ليس القران على وتيرة واحدة أو مزيج واحد يعطي للجميع بل يشخص الداءات و يحللها ، و يعالجها بما يناسبها لذلك يأتي الأسلوب المختلف [2] و في مثل هذا قال الله تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] [3] و قال { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ] [4]

نعم العالمون وحدهم هم الذين يدركون قيمة التصريف و الأمثال .

وهكذا يعرض القران الكريم كتاب العربية الكبير منهجه و أسلوبه في تناول عمدة الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من خلال هذين المسلكين بلغة رفيعة و بتراكيب راقية و أساليب متباينة و لذلك كان ظهور القران تتويجا للغة جديدة و لأسلوب جديد و تبقى اللغة العربية هي الأداة الأولى القادرة على بيان العقيدة و ما يتفرع عنها من توجيهات ونظم في الحياة لبناء حضارة راقية حضارة أخلاقية أو كما قال تيريز آن دروار " القران تحفة اللغة العربية " [5] و كما قال غي مونو " إن الإسلام ديانة قبل أي شيء آخر وهي من أكبر الديانات التي طبعت تاريخ الإنسانية و ستحكم المشهد الديني العام في مطلع الألف الثالثة للميلاد... "[6] و الله أعلى و أعلم .

---

[1] سورة البقرة الآية 25
[2] تفسير الشعراوي 14/8733-8737 بتصرف قليل
[3] سورة الحج الآية 73
[4] سورة العنكبوت الآية 41-42
[5] مواقف 60
[6] مواقف 44

الخلاصة :

إن ما قيل يحتاج إلى خلاصة وهذه الخلاصة يتوجها سؤال هو :

ما هذه اللغة العربية ؟ الجواب : هي :

1- لسان خاتم الرسالات وملخصها
2- لسان توثيق الحضارات الإنسانية وتجارب البشرية .
3- لسان الرسالة العالمية .
4- لسان الحضارة الأخلاقية ذات العفة والمروءة .
5- لسان بيان قيم الإنسان التي تصون إنسانية الإنسان
6- لسان العدل في القول والصواب في الفعل والمنازعات .
7- لسان السلام وتوثيق وحدة الإنسانية وأخوتها .
8- لسان سيد الألسن
9- لسان عمدة وحدانية الله وتكبيره وتسبيحه
10- لسان التعبد الشريف السامي المجرد .
11- لسان العلم والمعرفة الحقة .
12- لسان الإبانة والإفصاح عن مكنون النفس البشرية .
13- لسان توثيق أقوال الإنس والجن ومقالاتهم .
14- لسان توثيق أقوال الطير والحشرات .
15- لسان توثيق تسبيح الكون لله وسجوده له .
16- لسان الخلود والتحدي .
17- لسان بيان أطوار خلق الإنسان والكون .
18- لسان بيان طبيعة الإنسان .
19- لسان بيان طبيعة الحياة .
20- لسان بيان طبيعة الكون .
21- لسان الصدق والأمانة .
22- لسان بيان أسرار الكون .
23- لسان للقديم والجديد وسعة الصدر و الانفتاح.
24- لسان الأدب الرفيع .
25- لسان حي مؤثر .
26- لسان التوازن والاعتدال في كل شيء .

وليعلم أن لكل عنوان من هذه العناوين أدلته من نفس كتاب هذا اللسان كتاب العربية الخالد .

لأن هذا اللسان خالد بخلود الكتاب الذي اختير له .هذا اللسان

قال تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] الحجر : 19

وقال تعالى :

﴿و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبد فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين] البقرة : 23-22

وقال تعالى:

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا.] الإسراء : 8

وقال تعالى :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي]

يونس : 15

وقال تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون] فصلت : 1-3

والسلام